المشهد التشكيلي العربي ينحاز إلى الأسهل

مروان قصاب باشي: الرسم بالرصاص يخرج من كبد الفنان

تاريخ النشر: 15/12/2014

الشارقة - محمد أبو عرب:

"برغم سنينه الستين يزداد طفولة، أما بيئته الشامية بحاراتها القديمة، وبيوتها العربية وغوطتها وأشجارها وظلالها، بقاسيون الذي يربض على كتفها حامياً وحارساً لهذه البيئة، بمفرداتها الكثيرة، يحملها مروان أينما ذهب، ويستخرج بين فترة وأخرى، بحرص بالغ، شيئاً من كنوزها ليفاجئ نفسه وليفاجئ الآخرين بالاكتشاف" .

هكذا كتب الروائي عبدالرحمن منيف عن صديقه الفنان التشكيلي مروان قصاب باشي، كان ذلك في العام ،1997 كتب عن أثر البيئة الشامية في تجربته، وعن الطفولة البريئة في أعماله، فماذا كان سيكتب منيف لو كان اليوم شاهداً على كل ما جرى وتحول؟

هل كان سيكتب عن الهجرة والغربة التي يعيشها باشي؟ أم عن الوجوه الحزينة التي باتت تحتل جل تجربته والفضاء الذي يغوص فيه للوصول إلى حقيقة خراب العالم؟ أم سيكتب عن التعب الذي يتجسد في خطوط لوحاته؟

أسئلة كثيرة عالقة في رحيل منيف، وأسئلة كثيرة طرحتها "الخليج" على باشي لدى لقائه على هامش معرضه الاستعادي "مروان . . تضاريس الروح" الذي تستضيفه "مرايا" في الشارقة، بالتعاون مع مؤسسة "براجيل" حتى السادس من فبراير/شباط المقبل في القصباء .

*** ماذا يمثل لك هذا المعرض وهو يجمع مقتنيات متفرقة لك، يعود بعضها إلى عقود طويلة؟**

- المعرض يعني لي كثيراً على الصعيد الشخصي، إذ إنه يأتي برعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، فهو معرض حب ومودة، لا يستهدف الربح، إنما اعتراف وتقدير بمكانة اللوحة كفعل جمالي .

أن أعود وألتقي بأعمال لي تم اقتناؤها منذ ثلاثين وأربعين عاماً، فذلك يجعل من المعرض ذاكرة لمسيرة طويلة من الحياة والفن، فالعديد من اللوحات تعرض اليوم بعد عشرات السنوات وكانت نتيجة ظروف سياسية، وأحداث، ومواقف وحالة ثقافية فكرية معينة، واليوم هي تعرض ولا زالت حية ومعبرة عن الحالة الراهنة كأنها رسمت هذا العام مستجيبة للمتغيرات السياسية الجارية في المنطقة العربية والعالم .

*** يجد من يتابع مسيرتك أنك تنوع في الخامات خلال المرحلة الواحدة التي تشتغل عليها، فماذا تمثل خامات اللوحة لديك؟**

- إن الكثير من الفنانين يعتبرون الخامات جزءاً من المرحلة الفنية التي يشتغلون عليها، حتى أن النقاد يشيرون إلى أن هذا الفنان أو ذاك انتقل من الألوان المائية إلى الأكريليك، في إشارة بذلك إلى تحول في تجربته، وهذا في واقع الأمر لم يحدث معي، فكنت اعمل في كل مرحلة بالزيت، والحفر على المعدن، والرصاص، وغيرها من الخامات في الوقت ذاته .

وأجد أن كل خامة من الألوان تعبر عن حالة نفسية أمر بها، فالألوان الزيتية قابلة للتراكم فوق بعضها، وقابلها للحذف والإضافة، وهو ما يعبر عن شعور ما، والألوان المائية لا تحتمل العودة من جديد أو الحذف وفيها درجة عالية من الصفاء والشفافية، والأمر مختلف في الحفر على الحديد، وفي استخدام الرصاص، إذ لطالما اعتقدت أن الرسم بالرصاص يخرج شيء من كبد الفنان، شيء فيه شعور بالألم والغصة .

وأجد الخامات ليست أدوات لإنتاج اللوحة بقدر ما هي شيء يبني مع الفنان علاقة حتى يستطيع التعبير عن شعوره، تماماً مثلما يرتبط الورق والألوان المائية بما هو رقيق ورهيف، والرصاص والزيت بما هو خشن وصلب .

*** تعد من المؤسسين في فنون الغرافيك، واليوم يلحظ المتابع تغيّباً لهذا الجنس الإبداعي، برأيك ما السبب في ذلك؟ وهل لهذا علاقة بالتقنيات والآلات التي تحتاجها هذه الفنون؟**

- لا أجد أن الموضوع له علاقة بالآلات التي تحتاجها فنون الغرافيك، وإنما يرتبط بالحالة الفنية بصورة عامة، إذ ينحاز المشهد الفني العربي إلى السهل، وينحرف عن كل الفنون اليدوية التي تعتمد أكثر على مهارة الفنان، إلى فنون الصورة الرقمية والفيديو آرت، فالأجيال الفنية التي تتوالد في الساحة العربية، وحتى الكثير من التجارب التي لها تاريخها مع اللوحة باتت تلجأ إلى الاستسهال .

وأعتبر أن هذا هروب من معالجة الفنان للورق والقماش واللون، وهو هروب من المادة الملموسة التي تحمل روح العمل وتكشف جهده بصرياً، عبر حركة يد الفنان وعينه وتتبع الخطوط والألوان في مساحة العمل، وهذا يقابله انجراف نحو الفيديو آرت وبعض الفنون السهلة .

*** يظهر اشتغالك الواضح على الشكل البشري، حيث تكرس جهدك كاملاً للغوص في الوجه بوصفه تكويناً قادراً على حمل دلالات شاسعة، حدثنا عن هذا الاختيار وما توصلت إليه بعد أكثر من أربعة عقود من الجهد؟**

- يمكن القول إنني انهمكت في الاشتغال على الشكل الإنساني، فظلت تجربتي تدور في هذا الفضاء، وانتقلت في العام 1973 إلى الوجوه، إذ وجدت فيها قدرة على اختزال الشكل البشري، لتتحول مع الاشتغال الطويل إلى أن يصبح الوجه في أعمالي صورة للعالم، وليس لشخص واحد .

وهذا الوجه الوحيد الذي صار يتبدى في أعمالي دخل في سلسة من التحولات، بدأ في مساحة من الفراغ، ثم صار يمثل العمل كله، وبعد ذلك صار يظهر بشكل عمودي، وفي كل واحدة من هذه المراحل كنت اعمل على مفاهيم ظلت تهجس في بالي، وظلت تخرج في

مساحة العمل الفني كما لو أنها استجابة لرؤيتي للواقع الذي نعيش فيه .

*** يجد المتلقي لأعمالك أثراً صوفياً يتبدى في التجرد، والتقشف اللوني، والاختزال، والبحث عن العمق .**

- بلا شك كان الفكر الصوفي في جذوره واحد من مرجعياتي الذهنية لدى معالجتي لمواضيع أعمالي، لكن ذلك جاء انطلاقاً من قراءات وتأملات ذاتية في الحياة والكون، وهذا كما أتصور شأن أي فنان يحاول الوصول إلى إجابات، فالفن هو مواجهة لكم هائل من التساؤلات التي يمضي الفنان سنوات عمره في محاولة الإجابة عليها بصرياً .